المحاضرة الأولى
مدخل إلى موسيقى الشعر

العلاقة الفنية بين الموسيقى والشعر : .

الموسيقى فن من الفنون الجميلة أداته الألحان، والعلاقة بينها وبين الشعر علاقة وطيدة. وقد تجلت هذه العلاقة الوطيدة بين الشعر والموسيقى على المستويين الواقعي والنقدي. وسنحاول تجلية ذلك فيما يأتي:

أولا: النشأة الموسيقية للشعر العربي:

إنّ ارتباط الشعر بالموسيقى، وبالغناء تحديدا، قديم في التاريخ. فعند اليونايين القدامى كان هوميروس يغنّي شعره على أداة موسيقية خاصّة، وفي العصور الوسطى كانت هناك جماعات من الشعراء الغربيين تُعرف باسم **تروبادور** Troubadours) تُؤلّف الشعر وتغنّيه.

ويرى بعضهم أنّ كلمة شعر تعود أصولها إلى كلمة (شير) السومرية الّتي تعني الشعر او الانشاد. ونجد أيضا كلمة (شير اشوريم) تعني نشيد الانشاد باللغة العبرية وهي مشتقة من نفس الكلمة السومرية (شير)

أمّا في أدبنا العربي فإنّ عهد اقتران الشعر بالغناء، العربي، حسب الدكتور البهبيتي، هو عهد قديم "لا يمكن أن يقع في حدود المائتي سنة السابقة للإسلام، وهي الفترة التي يقع فيها شعر شعراء الجاهلية المعروفين لنا جميعا." [1]. وقد ذكر المرزباني في موشحه أنّ العرب كانت "تغنّي النَّصْبَ، وتمد أصواتها بالنشيد، وتزن الشعر بالغناء؛ فقال حسان بن ثابت:

تغنّ بالشعر إمّا كنت قائله *** إن الغناء لهذا الشعر مضمار"[2].

وقد ذهب النقد العربي القديم أن غناء العرب قديما على عدّة أوجه: الحُداءُ. النصب، السناد، الهزج، التغبير.

ثانيا: الموسيقى ومفهوم الشعر:

1- في النقد العربي القديم:

واستنادا إلى هذه العلاقة الحميمية الّتي ربطت بين ولادة الشعر والموسيقى، شكّل النقاد العرب مفهومهم للشعر، فلم ينأ أحد بنفسه عن هذا الرأي، فهذا ابن طباطبا في عياره يرى أنّ الموسيقى هي أظهر خصيصة في الشعر: "الشعر - أسعدك الله - كلام منظوم، بائن عن المنثور "[3]. وقد أكّد على هذه الخصيصة قدامة بن جعفر، حين عرّف الشعر بقوله: " قول موزون مقفّى يدل على معنى"[4]. وهو عين ما ذهب إليه الناقد الفيلسوف حازم القرطاجني الّذي قال: " الشعر

---

[1]- نجيب محمد البهبيتي: تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، دار الثقافة للنشر والتوزيع- مصر، سنة 2001، ص92.

[2] - محمد بن عمران بن موسى المرزباني أبو عبد الله: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، سنة 1415 - 1995، ص52-53.

[3] -ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، ص05.

[4] - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص18.

كلام موزون مقفى (...) بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة"[5] وقد أعلى ابن رشيق من قيمة الموسيقى(الوزن) في الشعر، فقال: "الوزن أعظم أركان حدّ الشّعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية، وجالب لها"[6].

ولم يخرج الفلاسفة العرب هم أيضا عن ربط الشعر بالموسيقى، حيث كانوا يتحدّثون عن الشعر ضمن حديثهم عن الموسيقى، فالفارابي في كتابه (الموسيقى الكبير) يقرر أن "الصناعة الشعرية هي رئيسة الهيئة الموسيقية"[7]. مؤكّدا "أن الموسيقى والشعر يرجعان إلى جنس واحد هو التأليف والوزن والمناسبة بين الحركة والسكون"[8]. وكذلك كان رأي ابن سينا الّذي عدّ الإيقاع شرطا في الشعر"[9].

2-النقد العربي الحديث

ولم يكن للنقد العربي الحديث أن يتنصّل من هذه العلاقة الّتي ربطت بين الشعر والموسيقى، ويتضح هذا عند طه حسين، وهو أحد هؤلاء المجددين، حيث يحدداً ماهية هذا الفن الأدبي بقوله: "المثل الأعلى للشعر، هو هذا الكلام الموسيقى"[10]. وقد أوثق العقاد الصلة بين الشعر والموسيقى، فقال: " نريد باللغة الشاعرة أنها لغة بنيت على نسق الشعر في الوصول للفنية الموسيقية"[11]. وما كان للشاعر الأديب مصطفى صادق الرافعي أن ينكر هذا الوفاق السرمدي بين الشعر والموسيقى، حيث يقول: " إنّ الشعر العربي صناعة موسيقية رقيقة"[12].

ثالثا: الشعر العربي المعاصر والموسيقى:

وهكذا كانت صلة الشعر بالموسيقى صلة مصيرية وغير قابلة للفصل مطلقاً، ثمّ تطورت هذه الصلة حتى أصبح الشكل الشعري المنظوم محكوماً بهندسة موسيقية منتظمة لا تقبل الخلل. وحين حاولت القصيدة العربية الحديثة تحطيم هذه الهندسة فإنها لم تكن تنوي إنهاء الصلة بين الشعر والموسيقى، بقدر ما كانت محاولة لاستثمار "إيقاع الجملة وعلائق الأصوات والمعاني والصور، وطاقة الكلام الإيحائية والذيول التي تجرها الإيحاءات وراءها من الأصداء المتلونة والمتعددة"[13].

جامع القول:

ومهما قيل هنا أو هناك، تبقى الموسيقى هي أبرز العناصر في الشعر وأقواها في النفس فهي العمود الفقري في الشعر ، ولذلك لا نستطيع أن نقول : إنّ للشعر موسيقى خاصة تميزه عن سائر ألوان الكلام ، وإنّما الذي يمكن أن نقوله إنّ الشعر لون من ألوان الموسيقى.

---

[5] - حازم القرطاجني: منهج البلغاء وسراج الأدباء، ص71.
[6] - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص134.
[7]- الفارابي: كتاب الموسيقى الكبير: 1093/3.
[8]- الفارابي، الموسيقى الكبير، ج1، ص16-17.
[9] - ابن سينا، جوامع علم الموسيقى، ص122-123.
[10] - طه حسين: حافظ وشوقي، مكتبة الخانجي بمصر / حمدان ببيروت، ص31.
[11]- عبّاس محمود العقاد: اللغة الشاعرة، ص 35.
[12]- الرافعي في مقال له بمجلة الهلال، يناير 1926، ص 31
[13] - أدونيس (علي أحمد سعيد)، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط1، 1971، بيروت: 116.